بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 29-4-2011 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((أخلاقيات الأزمات))

((الجزء الثاني))

الحمد لله..الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإن تقوى الله هي العدة لنا في الدنيا وفي الآخرة، وإن الله كتب العاقبة للمتقين فقال: ﴿ . .إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49] وقال تعالى: ﴿ . .وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:132] فإنه من فارَق التقوى فارقه التوفيق في الدنيا والآخرة.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام:104].

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:174-175]

وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:15-16]

قال ابن كثير في تفسيره:

(أخبر الله تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم أنه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة،....وينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أَبْيَن المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجَبَ الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوَم حالة).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى)) [البخاري ومسلم].

وفي رواية: ((كرجل واحد، إن اشتكت عينُهُ اشتكى كُلُّه، وإن اشتكى رأسُهُ اشتكى كُلُّه)) [مسلم].

عنوان خطبة اليوم:

(أخلاقيات الأزمات -2-).

سبق -أيها الإخوة- في الخطبة الماضية أن الأزمات عادة ما تكشف المعدن الجيد للناس، وإن كنا مدعوين دائماً للتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها، فنحن في الأزمات أشد حاجة لهذا التحلي والتخلي.

وعرضت الخطبة الماضية لثلاثة أخلاق مهمة جداً فيما تشهده بلدنا هذه الأيام، وهي:

1-عدم الهلع

2-الأمانة

3-التراحم والتعاون

وتعرض خطبة اليوم لثلاثة أخرى، وهي :

4-التكافل

5-التثبُّت

6-الأمل

✓الخلق الرابع: التكافل:

والمراد به التساند والتعاضد والتآزر بين أبناء البناء الواحد، والحي الواحد، والقرية الواحدة، والمدينة الواحدة، والبلد الواحد، يُعِين الغني الفقير، ويساعد القوي الضعيف، ويتكافل الجار مع جاره، ويتساند الصديق مع صديقه، ويتعاون الأخ مع أخيه.

والتكافل الاجتماعي مطلوب دائماً في الإسلام، لكنه في الأزمات أشدّ طلباً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ)) .

قال الراوي:(ذَكَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَصْنَافِ المالِ مَا ذكر حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ) [مسلم]

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37) ﴾ [النساء: 36-37]

فمِن التكافل من هذه الأيام: أن لا يصرف صاحب عملٍ عمَّاله لأنه لا يجد حركة في أسواقه؛ إذ ربما لا يعرف العامل عملاً أو مكاناً للعمل غير هذا المكان، ولعله إذا شاطرهم المال الوارد الذي يأتيه يكون خيراً له ولهم، ولعله إذا تصدّق من صدقاته عليهم لكان خيراً له ولهم.

يـدير تـاجرٌ ورشـة للمفروشـات في إحـدى ضـواحي المدينـة، ويعمـل عنـده ثلاثـة وعشرون عاملاً، توقف عمله لمدة شهرٍ كامل دون إيراد، فما كان منه إلا أن قام بتسريح جميع العمال إلا اثنين منهم.

ولقد رجاه العمال أن يُبقيهم في العمل لقاء مائة ليرة في اليوم للعامل يسُدُ بها رمقه ورمق أهله..، فأبى!!!

أما كان الأجدر بهذا الرجل أن يعينهم ويتكافل معهم وأن يتنازل عن بعض الأرباح زمناً، أو أن ينفق من مُدخَرَاتهِ زمناً، تقرُّباً إلى الله تعالى، وكسباً لولائهم على مَرِّ الأوقات.

وهذا ما فعله صاحبُ شركة فاضلٌ، فقد قام بتخفيض دوام جميع الموظفين ساعتين في اليوم، بحيث قلَّ راتبُ كلٍ منهم بمقدار هاتين الساعتين، ولم تكن الخسارة التي لَحِقَت بصاحب العمل مكافئة لهاتين الساعتين، لكنه بذلك تكافل مع عماله وأبقى لعشرات العائلات مورد رزقٍ متواضع وساهم بشكلٍ متفاعل في التكافل في الأزمة.

إذا ضاقت عليك سُبل الاقتصاد فلا تقُم بتسريح عمّالك؛ إذ الإنسان إذا عُدم سبيل الحياة الكريمة ضاقت عليه الدنيا واستوى عنده الموت والحياة، وقد يدفعه ذلك إلى فعل ما لا تُحمد عقباه، وابحث عن حلول بديلة لعملك وتجارتك، فربما أخلصت النية ففتح الله عليك بذلك باب رزقٍ لم يكن لك بالحسبان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الأشعريّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، وقَلَّ طَعَامُ عِيالهم بالمدينة: جَمَعُوا ما كان عندهم في ثَوْب واحد، ثم اقْتَسَمُوا بينهم في إناء واحد بالسَّويَّةِ، فهم مِنّي وأنا مِنْهُم)) [البخاري ومسلم]

ومن التكافل في هذه الأيام أن يتعرف المرء على جيرانه وأهل حيه بشكلٍ أكبر، ليتعاون معهم ويساعد محتاجهم ويرتب طريقة التواصل فيما بينهم، وربما احتاجوا إلى تهيئة طريقٍ لحماية ممتلكاتهم ومكان سكنهم، ففي أوقات الأزمات يظهر المصطادون في الماء العكر.

ومن التكافل في الأزمات أن يتدرب المرء على مبادئ الإسعاف والإسعافات الأولية، ويُقِي قريباً منه أهم الأدوات التي يحتاجها في الحالات الطارئة. وإذا صادف جريحاً فليساعده وليسارع بنقله إلى أقرب طبيب، ولعله بمساعدته يحيي نفساً كان صاحبها

على وشك مفارقة الحياة: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : 32]

قال مجاهد -رحمه الله- في تفسير: ﴿ . . .وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ : أي: أنجاها من غرقٍ أو حرقٍ أو هلكةٍ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ . . .وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ ، أي: استنقَذَها من هلكةٍ.

ومن التكافل في الأزمات: أن يبتعد المرء عن مظاهر الفرح والابتهاج مراعاة لحالة أناسٍ من إخوانه وبني قومه فُجعوا بإخوانهم أو أبنائهم أو أقربائهم؛ إذ التكافل المعنوي مهمٌّ جداً في الأزمات، فتعامَل مع ما يصيب الناس كأنه يصيبك أنت، فهذا يُشعرهم بالتعاضد والتكاتف والمؤازرة.

أنشد المَعرّي قال:

فلا هطَلَت عليَّ ولا سحائب ليس تنتظم البلادا

✓الخلق الخامس: التثبت:

وأعني به التثبت من الأخبار، والتثبت من نقل الأخبار، فكم من خبرٍ ألقى الرعب والهلع والجزع عند الناس، وكم من خبرٍ ألقى الراحة والسكينة في قلوب الناس.

وإن الإشاعات موجودةٌ دائماً، لكنها تكثرُ في أيام الأزمات، فالعاقل اللبيب الأديب هو الذي يتثبت من الخبر الذي يسمعه، ولا ينقل من الأخبار إلا ما صحَّ عنده ورجا نفعه، أما إذا لم يصح الخبر عندك فلا تنقله، وإذا صحّ ولم يكن في نقله نَفْعٌ فلا تنقله.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : 6]

وفي قراءة حمزة والكسائي: ﴿ فَتَثَبَّتُوا ﴾ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كفى بالمرء كذباً أن يُحدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ)) [مسلم وأبو داود] قال المناوي في شرحه: (أي إذا لم يتثبت؛ لأنه يسمع عادةً الصدقَ والكذب، فإذا حدَّث بكلِّ ما سمع لا محالة يكذب، والكذب الإخبارُ عن الشيء على غير ما هو عليه وإن لم يتعمَّد).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بئس مَطِيَّة الرجل: "زعموا")) [أبو داود]

قال في عون المعبود: (والمقصود أنَّ الإخبار بخبرٍ مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيحٌ ....، وفي المثل: "زعموا" مطية الكذب).

✓**الخلق السادس: الأمل:**

الثقة بالله، والتفاؤل، والأمل.. ضروريٌّ جداً في الأزمات، فبعد كل مِحْنةٍ مِنْحة، وبعد كلِّ شِدَةٍ شَدَّة، وبعد كلِّ ضيقٍ فرَج، وبعد كل بليَّةٍ عطيَّة، وإن مع العُسر يُسراً.

والشدة –أيها الإخوة– إذا تتابعت انفرجت وإذا توالت تَولّت، وإن الله مع المحسنين، ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : 7]

ولَرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعــاً وعنــد اللــه منهــا

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُــرجَت وكنتُ أظن أنهــا لا

عند تناهي الشدة يكون الفرج، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء، وأفضل العبادة انتظار الفرَج.

فيا أيها الإخوة:

أبشروا بالخير، وأَمِّلوا ما يَسُرُّكُم، فوالله لا يسوق الله تعالى لعبده المؤمن إلا الخير، واعلموا أن الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه، وأن العاقبة للتقوى، وأن العاقبة للمتقين.

أيها الإخوة الكرام :

هذه أخلاق ثلاثة في أخلاقيات الأزمات، وسبق ثلاثة في خطبة ماضية:

✓عدم الهلع

✓الأمانة

✓التراحم

✓التكافل

✓التثبت

✓الأمل

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم

والحمد لله رب العالمين

www. dr-shaal.com